إسرائيل وداعش (رؤية إستراتيجية في التوافق والتوظيف)

م. د. سهاد إسماعيل خليل*
باحثة وأكاديمية من العراق

* كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين

المقدمة

الذي نعيشه اليوم يذكرنا بعملية سابقة، قامت بها الدول الكبرى في مطلع القرن العشرين من أجل تكريس هيمنتها عبر خلق الكيان الصهيوني المتكون من مجموعة عصابات تحمل فكراً إجرامياً متوحشاً، فقد شهد مطلع القرن الحادي والعشرين وتحديداً إثر إحتلال العراق خَلْقً وتنمية تنظيم جديد يحمل ذات المنطلقات والممارسات العدوانية بأطر فكرية مختلفة، بهدف تكريس الهيمنة للولايات المتحدة الأميركية، وإعادة هندسة وترتيب المنطقة العربية بما يتلاءم ومتطلبات الإستراتيجية الأمريكية، كما كان إنشاء إسرائيل في العمق الإستراتيجي العربي ضمانة للهيمنة البريطانية في المنطقة العربية آنذاك.

هذا التشابه بين اليوم والأمس يثير فينا تساؤلات، هل ما حصل في العراق بعد عام 2003 هو المرحلة الأولى من إعادة ترتيب المنطقة العربية، والتغيير في مصر وليبيا وتونس (دول الربيع العربي) هو المرحلة الثانية؟، وظهور تنظيم داعش والحرب في سوريا إحتلال أجزاء واسعة من الأراضي العراقية هي المرحلة الثالثة ؟ ممّا يعرف اليوم بخلق الفوضى الخلاقة. وهل العراق ضرورة إستراتيجية بالنسبة لإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في إعادة هيكلة المنطقة العربية جيوبولتيكا واستراتيجيا؟

إشكالية البحث

تنطلق إشكالية البحث في محاولة فهم وإستيعاب الحراك الإستراتيجي الإسرائيلي الإقليمي في ظل حالة الفوضى الشاملة والناشئة كنتاج طبيعي

لظهور تنظيم ما يعرف بالدولة الإسلامية (داعش) الإرهابي وسيطرته على أجزاء واسعة من الأراضي العربية، وتوجيه تهديد مباشر للدول العربية الأخرى، وتهديد غير مباشر للأمن والسلم الدوليين. وفي ضوء مجريات الأحداث نجد هنالك ترابطاً وتوافقاً بين إسرائيل وتنظيم داعش من حيث النشأة والأهداف مع بعض الخصوصية لكليهما. مع إتاحة هامش من الفرص وزخم في توظيف تلك الفرص لصالح تحقيق المصالح الإسرائيلية في المنطقة العربية.

فرضية البحث

من بديهيات علاقات الترابط والتوافق بين متغيرات أية دراسة هو وجود علاقة بين الفعل والإستجابة للفعل، تسعى إسرائيل إلى بناء دولتها الكبرى وتحقيق مشروعها العالمي وفق رؤية إستراتيجية تبنتها من النشأة إلى يومنا هذا تعتمد بالدرجة الأساس على توظيف المتغيرات الإقليمية والعالمية مع إمكانية عالية للإستجابة الكفوءة لهذه المتغيرات، فكان ظهور تنظيم ما يعرف بالدولة الإسلامية وتقاربه الضمني مع إسرائيل في النشأة والأسلوب والأهداف (تكوين دولة إسرائيل الكبرى، تكوين دولة الخلافة الإسلامية)، برهنت على مدى القدرة العالية للتفكير الإستراتيجي الإسرائيلي للتعامل مع هذا المتغير وتحويل مسارات التهديد إلى فرص إسرائيلية تتيح لها تحقيق الأهداف المنشودة.

منهج البحث

تمّ الإعتماد على عدد من المناهج العلمية، فقد كان أهمها المنهج التحليلي لتحليل المعلومات ودراسة المتغيرات والأحداث والتطورات لموضوع البحث. والمنهج المقارن لتحديد أوجه الترابط والتوافق بين إسرائيل وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

المحور الأول: التغير في الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه المنطقة العربية

تتميز الإستراتيجية الإسرائيلية عن بقية الإستراتيجيات العالمية التي تنشغل في وضع إستراتيجيات لمواجهة التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحتملة لتطورها ولشبكة علاقاتها الداخلية والخارجية، فإن الإستراتيجية الإسرائيلية تنفرد بمسألة أخرى إلى جانب بناء وصياغة استراتيجيات تواجه

فأن الإستراتيجية الإسرائيلية تنفرد بقضية (الوجود في حد ذاتها).

التحديات والمتغيرات والتطورات على الأصعدة كافة، فأن الإستراتيجية الإسرائيلية تنفرد بقضية (الوجود في حد ذاتها) إذ لا تربط إسرائيل بين التطورات الكبرى في شبكة الحياة الدولية وبين إنعكاساتها على الأنساق الفرعية في الدولة والمجرات الدولية، بل تقفز إلى أثر ذلك في «بقائها ووجودها كدولة»، فالعالم مشغول بالنمو والتطور بينما تنشغل إسرائيل إلى جانب ذلك بمسألة البقاء، التي تشكّل الهاجس الأمني الأساس في التفكير الإسرائيلي والإستراتيجية الإسرائيلية. فضلاً عن التطور المطرد في عدد السكان في فلسطين الذي يعدّ تهديداً مباشراً للأمن الإسرائيلي، والتغيرات والتطورات في سوريا، وتغيير الحكم في مصر وما نتج عنه من إختلالات أمنية، وتطور العلاقات الإقليمية التركية ـ الإيرانية، والعلاقات الإيرانية الدولية ـ الإتفاق النووي ـ والعديد من المتغيرات الإستراتيجية[1]. ومن هنا كان محور الإستراتيجية الإسرائيلية هي الإستراتيجية الأمنية وهذا ما أكده اللواء (يسرائيل طال) بقوله: «إن الفحوى الكامل لعبارة أمن في حالتنا يطابق مفهوم الوجود عموماً. . فإستراتيجيتنا لا تتقرر من نسب القوى وحدود القوة بل أيضا الأهداف القومية التي تستطيع إسرائيل أن ترسمها لنفسها. . وفوق كل شيء من الحافز لدينا فقوة الحافز تتناسب طردياً مع مدى حيوية المصلحة الفردية والقومية. وعند تفحص نظرية الأمن القومي التي وضعها ديفيد بن جوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي منذ أكثر من خمسين سنة، أرادت أن تجيب على سؤال مصيري لإسرائيل، وهو كيفية تحقيق الأمن لشعب قليل العدد، يواجه بيئة عربية معادية. وفي معظم الحالات، أخذ بن جوريون في الحسبان قلة سكان إسرائيل وديموجرافية السكان مقارنة بالشعوب العربية، ومساحتها الضيقة ومواردها المادية المحدودة. وهو ما دفعه الى وضع مبدأين شَكَّلَا ركائز نظرية الأمن القومي، هما أن كل الشعب هو جيش (الشعب المسلح)»[2]. من هنا تتضح أن الإستراتيجية الإسرائيلية بُنِيت على أساس إستراتيجية أمنية نتيجة لنشأتها غير الطبيعية في المنطقة وشعورها الدائم بأنها مهددة وعرضة للخطر، ولإدراكها أن بناء (إسرائيل الكبرى) لا يتمَّ إلَا من خلال تحقيق الأمن.

وبحكم إدراك إسرائيل حقيقة أن مختلف الظروف الدولية والإقليمية والمحلية المحيطة بصراعها مع العرب لا تسمح لها بقدر زمني كبير من حرية العمل

(1) وليد عبد الحي، التحديات الإستراتيجية للفكر الصهيوني، على الرابط الالكتروني الآتي: aljazeera.net/ar/issues.

(2) نقلا عن: جمال عبد الهادي، قراءة في فكر علماء الإستراتيجية: كيف تفكر إسرائيل، دمشق، دار الوفاء، 2007، ص45.

تأثرت الإستراتيجية الإسرائيلية بتغيير البيئة السياسية في العقدين الأخيرين بفعل عدد من العوامل التي غيرت الواقع السياسي والعسكري في المنطقة.

العسكري المؤدي إلى تحقيق توسعات إقليمية عديدة، لذا فإن إسرائيل تحرص على توظيف الجوانب كافة في القوة ولا سيّما المناورات الدعائية والسياسية كما هو الحال في توظيف ما يعرف اليوم (بالإرهاب الإسلامي) لتحصل على تأييد قوى دولية مختلفة وتحييد قوى أخرى وشل فاعلية القوى المؤيدة للعرب وإضعافها لتتيح لنفسها قدراً معقولاً من حرية العمل. لذا عملت إسرائيل على اللجوء إلى إستراتيجية أمنية قادرة على توفير الأمن وفي نفس الوقت على نقل الصراع من بُعده القتالي إلى التصارع الفكري ـ العقائدي بتوظيف مخرجات نظرية صِدام الحضارات.

تأثرت الإستراتيجية الإسرائيلية بتغيير البيئة السياسية في العقدين الأخيرين بفعل عدد من العوامل التي غيرت الواقع السياسي والعسكري في المنطقة منها إنهيار عدد من الركائز التي قامت عليها الإستراتيجية الإسرائيلية فلم يعد العمق الإستراتيجي الذي حققته (إسرائيل) بإحتلال أراضٍ عربية مجاورة كافياً لمنع وصول التهديدات إلى مواقعها الحيوية، بعد وصول صواريخ حزب الله للمدن والمنشآت الإسرائيلية[3]. والتغير الجوهري في التفكير الأمني الإسرائيلي المتمثل بإنسحاب إسرائيل من جنوبي لبنان دون قيد أو شرط عام 2000 تحت الضغط المباشر للمقاومة وإستهدافها العمق الإستراتيجي لإسرائيل فضلاً عن تطور البرنامج النووي الإيراني وتكنولوجيا الصواريخ البالستية وعمليات الهجرة العكسية وأزمة الهوية الداخلية التي تواجه إسرائيل، ووجود نقاط ضعف طرأت على المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بدت واضحة في المواجهة مع حزب الله خلال حرب يوليو/تموز 2006[4].

(3) وليد عبد الحي، مصدر سبق ذكره.

(4) للمزيد انظر: خالد وليد محمود، أفاق الأمن الإسرائيلي.. الواقع والمستقبل، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2007، ص ص 105– وما بعدها.

وعليه كان لا بدَّ من إعادة تقييم الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه المنطقة العربية ولاسيما بعد التغير الناتج عن التغيرات في المنطقة العربية التي تعرف (بالربيع العربي)، وما نتج عنه أيضا من إنعكاسات على الإستراتيجية الإسرائيلية مما دعا نتنياهو إلى تحديد خمسة مخاطر إستراتيجية تهدد (إسرائيل) خلال محاضرة في (معهد دراسات الأمن القومي) التابع لجامعة «تل أبيب» تتجسد بالسلاح النووي، والصورايخ المتوسطة والبعيدة المدى التي يمتلكها أعداء اسرائيل، وتطور التكنولوجيا والحرب الإلكترونية التي تعرف بـ (السايبر)، وإحتمالية سيطرة الجماعات المتطرفة الإرهابية على

الأسلحة ـ كما حدث في العراق وسوريا ـ، وأخيراً تدفق المهاجرين الأفارقة[5].

كما وحدّد نتنياهو في تصريح نشرته صحيفة «هآرتس»، (14/ 7/ 2013)، سياسة «بلاده» بالقول: «نحن لا نبحث كيف نتحدى أي طرف خلف الحدود، ولكن لن نسمح لأي طرف بالمس بإسرائيل وندعو جميع الأطراف إلى عدم خوض التجربة معنا. فالواقع من حولنا يتغير بسرعة كبيرة. وهذا الواقع مُتفجّر وديناميكي ويجب أن نعدّ العدة له بشكل مناسب»[6].

أن إسرائيل تتبنى إستراتيجية الفوضى الخلاقة عبر إستراتيجية تفكيك وتركيب وإعادة تشكيل المنطقة وفق رؤى جديدة ونظرتها.

وهنا كان لا بدّ من توظيف إستراتيجية جديدة تتلاءم ومتغيرات البيئة الإقليمية وإعادة إحياء إستراتيجية (التفتيت) من جهة وإستراتيجية (شد الإطراف) من جهة أخرى.

وفي طور ذلك ان الإستراتيجية الإسرائيلية تعتمد على إتجاهين: الأول، رؤية لبنية المنطقة المحيطة بها على الأصعدة والمستويات كافة، خصوصاً الديموغرافية والإجتماعية والثقافية. والثاني: رؤية لأمن الدولة اليهودية وللوسائل التي تعتقد أنها كفيلة بتحقيق هذا الأمن على نحو مطلق، والذي هو غايتها النهائية، «يسهل، تفكيك وإعادة تركيب المنطقة على أسس جديدة مختلفة»[7]. أي وفق ذلك نجد أن إسرائيل تتبنى إستراتيجية الفوضى الخلاقة عبر إستراتيجية تفكيك وتركيب وإعادة تشكيل المنطقة وفق رؤى جديدة تتلاءم ونظرتها للدول العربية إذ ترى أنها بالأساس: الدول العربية نتجت عن صدفة تاريخية ولضرورات سياسية في ذلك الوقت، أمَّا الإتجاه الثاني فيرى أن أمن إسرائيل لا يتحقق بالقوة العسكرية فقط وإنما بضرورة وجود إستراتيجية شاملة تنمّ عن تفكير إستراتيجي يتلاءم وتطورات المرحلة الآنية وبرؤية مستقبلية تتوافق وتطلعات إسرائيل الكبرى[8].

لذا كان لا بدَّ من إحياء ما يعرف بإستراتيجية (ينون)، التي تعدّ إستمراراً للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط، وقد تبنتها (إسرائيل) فيما بعد لضمان تفوق إسرائيل في المنطقة التي تقتضي إعادة تكوين البيئة الجغرافية السياسية للدول المحيطة بإسرائيل وبلقنتها – إي تقسيمها نسبة لما حصل لدول البلقان من تقسيم – لتحويلها إلى كنتونات أصغر وأضعف، وقد نشرت العديد من

(5) هيثم محمد أبو الغزلان، إسرائيل بين المخاطر الإستراتيجية والوضع المستقر، 2013، على الرابط الالكتروني الآتي: http:// www.wahdaislamyia.org/issues/ 142/hgazlan.htm

(6) المصدر نفسه.

(7) حسن نافعة، قراءة جديدة في أوراق قديمة، الإستراتيجية الصهيونية لتفتيت العالم العربي، على الرابط الالكتروني الآتي: http://www.haqaeq4u.com/ index.php/motafareghat/201

(8) حسن نافعة، الإستراتيجية الصهيونية لتفتيت العالم العربي، 2014، على الرابط الالكتروني الآتي: http://www.achr.eu/art1089.htm

المجلات والنشرات العلمية الرسمية وغير الرسمية خطط تتابع تطورات خطة ينون»[9].

(9) المصدر نفسه.

وعلى الرغم من الفشل في إضعاف لبنان وتقسيمها بفضل صمود المقاومة اللبنانية ونجاحها في إسقاط معاهدة مايو 1983 التي أعاقت تنفيذ هذه الإستراتيجية ـ ولو مؤقتاـ)[10]. إلا أن البيئة الإستراتيجية الإقليمية وما آلت إليه من تطورات دفع دوائر التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي إلى إعادة إحياء هذه الإستراتيجية ولاسيما بعد إحتلال العراق والفوضى في الدول العربية ولا سيّما مصر وإستثمار قضية دارفور وتقسيم السودان عوامل شجعت (إسرائيل) على إستثمار هذه الفرصة، ودفعت بإتجاه تفعيل إستراتيجيات تفتيت المنطقة العربية في ظل ما آلت إليه الأوضاع العربية من فوضى سياسية وأزمات إقتصادية وتناقضات إجتماعية حادة قد تساعد إسرائيل على تحقيق هذه الإستراتيجية، إذا ما علمنا أن أولى أساليب تنفيذ هذه الإستراتيجية هو تعزيز التناقضات الإجتماعية والعمل على تفتيت المجتمعات العربية بإذكاء الطائفية العرقية والدينية، وزيادة حدة الأزمات السياسية والإقتصادية.

(10) للمزيد انظر: إسرائيل حاشاك، سايكس بيكو 2016 خرائط تقسيم المنطقة بين الواقع والأساطير، 2015، على الرابط الالكتروني الآتي: http://www.sasapost.com/sykes-picot/

المحور الثاني: التوجه الإستراتيجي الإسرائيلي حيال العراق

أكد وزير الأمن الإسرائيلي السابق «آفي ديختر» أن هدف إسرائيل الإستراتيجي «هو عدم السماح للعراق أن يعود إلى ممارسة دور عربي وإقليمي، مبيناً أن العراق تلاشى كقوة عسكرية وكبلد متحد وأنّ تحييده عن طريق تكريس أوضاعه الحالية يشكل أهمية إستراتيجية للأمن الصهيوني». وقال ديختير في محاضرة ألقاها في إحدى مراكز الأبحاث الإستراتيجية ونقلت نصها صحيفة «الجيورزاليوم بوست» المحلية «إننا قد حققنا في العراق أكثر مما خططنا له وتوقعناه»[11].

(11) المصدر نفسه.

إذ يشكل العراق التحدي الإستراتيجي الأخطر بالنسبة (لإسرائيل) لما يتمتع به من مكانه مهمة في العقلية الصهيونية والفكر العقائدي اليهودي وما ترسخ في العقيدة اليهودية من النصوص والأناشيد الدينية[12]. إذ شكل العراق هاجساً أمنياً للمفكر الإستراتيجي اليهودي الذي دائماً يعيد إلى الأذهان وكما أورد التلمود ذكر الإخراج الأول وخراب الدولة اليهودية على يد (نبوخذ نصر)[13]. ونكتفي هنا بالإشارة إلى مثال واحد للدلالة على زرع الكراهية في العقول اليهودية للعراق، فقد إنتشر أحد الأناشيد الكنسية القديمة في مدة

(12) للمزيد انظر الرابط الالكتروني الآتي: http://www. raialyoum. com/?p = 108966.

(13) سامر مؤيد عبد اللطيف، العراق وإسرائيل... بين القطيعة والتطبيع: رؤية في ضوء المعطيات الراهنة والاحتمالات المستقبلية. مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، 2014.

الأربعينيات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية، خلال الحرب العالمية الثانية نشيد مستوحى من قصة وردت في التوراة في سفِر (دانيال)، «ويقصّ هذا النشيد الذي كان يردد على ألسنة الصبية والفتيات في مدارس الأحد قصة ثلاثة أطفال كانوا من سبايا المالك البابلي (نبوخذ نصر) هم (شادراك وميشاك وأبيدنكو) أتوا من أرض (إسرائيل)، وقد أمرهم الملك البابلي بعبادة آلهته فرفضوا، فأمر بوضعهم في المحرقة، فأنجاهم الرب (يهوا) من النار دون أن يصيبهم أي أذى»[14]. فضلاً عن الكثير من النصوص في العهد القديم التي تتكلم عن العراق وما يشكله من تهديد حقيقي للوجود الإسرائيلي. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن العراق دولة تمتلك وزناً جيوبولتيكياً مؤثراً في المعادلة الإقليمية ومؤثراً في الصراع العربي ـ الإسرائيلي، والعراق في حالة رفض تام للوجود الإسرائيلي قبل وبعد 2003.

(14) المصدر نفسه.

عند النظر إلى طبيعة العلاقة بين كل من العراق و(إسرائيل) نجدها علاقة عدائية في كل جوانبها، فالعراق يعدّ بمثابة القوة الإقليمية المعادية لطموح (إسرائيل) في المنطقة لذلك عملت على إضعاف العراق وخلق مشاكل داخلية وخارجية من أجل إضعاف العراق. فكان التوافق الإستراتيجي الأمريكي ـ الإسرائيلي عاملاً مهماً وحاسماً في إخراج العراق من ساحة الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

طبيعة العلاقة بين كل من العراق و(إسرائيل) نجدها علاقة عدائية في كل جوانبها، فالعراق يعدّ بمثابة القوة الإقليمية المعادية لطموح (إسرائيل).

فقد عملت (إسرائيل) على تحقيق أهدافها ومشاريعها المستقبلية، فالتغيرات في العراق كانت عاملاً مساعداً في إحياء التوجه نحو تحقيق شعار (أرض إسرائيل التوراتية) مستثمرة بذلك التوافق الأمريكي الإسرائيلي حيال العراق، فالإستراتيجية الأمريكية ومن أولى أهدافها هو الهيمنة، وبما إن منطقة الشرق الأوسط هي أهم ركائز ديمومة الهيمنة الأمريكية وبما إن (إسرائيل) هي ركيزة ومصلحة ضرورية في المنطقة كان لازماً على الولايات المتحدة الأمريكية أنْ تعمل على الحفاظ على هذه الضرورة وبمختلف الوسائل ومنها إعادة ترتيب منطقة الشرق الأوسط وإعادة رسم الخريطة السياسية وبما يتوافق والمتطلبات الجديدة، وبما يساهم أيضا في حفظ أمن (إسرائيل)[15]. وضمن هذا النسق التراتيبي لن يخرج العراق عن الدور المرسوم له إقليمياً ضمن بيئة إقليمية تعاني التمزق والتشرذم والإختلال في موازين القوى لصالح (إسرائيل) لذا

(15) للمزيد انظر: صبري جرجيس، اليمين الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ مركز الابحاث، بيروت، 1978، ص 23 وما بعدها.

من الضروري أن تعمل الولايات المتحدة ولو بخطوات بطيئة وصبر طويل على ترتيب أنماط علاقة بين العراق و(إسرائيل) الأمر الذي سيمكّن اليهود من العودة إلى العراق ومن ثم السيطرة الإقتصادية، عبر توظيف مخرجات العولمة الإقتصادية[16]. فضلاً عن العمل لإعادة إحياء مشروع (اوديد ينون) أو ما يعرف بـ (إستراتيجية التفتيت) وذلك من خلال تقسيم العراق على أسس عرقية ودينية ومذهبية وهذا ما أكدته مجلة (اتلانتك) عام 2008 بنشر خرائط توضّح (تقسيم ينون) للعراق وسوريا، وهذا ما نجده في مشروع بايدن بعدّه الحل الأمثل لمشكلات العراق وفق الرؤية الأمريكية[17].

(16) مأمون كيوان، التغلغل الإسرائيلي في العراق وتداعياته المحلية والإقليمية (1)، مركز التفكير الاستراتيجي، 2016.

(17) مأمون كيوان، التغلغل الإسرائيلي في العراق وتداعياته المحلية والإقليمية (2)، مركز التفكير الاستراتيجي، 2006.

وتذهب بعض الإتجاهات الإسرائيلية إلى القول: إن النظام السياسي الجديد في العراق سيدخل منظومة التسوية السياسية كفاعل رئيس، فهو نظام سياسي جديد في طور البناء غير قادر على مواجهتنا، كما إنه يقع ضمن أهداف الإستراتيجية الإسرائيلية لذا تعمل إسرائيل على التقرب غير المباشر وفق إستراتيجية (الخطوة خطوة) موظفة جملة عوامل داخلية وخارجية في مقدمتها، بناء علاقات وطيدة مع الأكراد ودعم مطالبهم في الإستقلال للتأثير في السياسة العراقية، توظيف المدخل الإقتصادي والإستفادة من عملية إعادة إعمار العراق بشكل غير مباشر أو توظيف مشروع (السوق الشرق أوسطية)[18].

(18) حسن نافعة، الإستراتيجية الصهيونية لتفتيت العالم العربي، 2014، مصدر سبق ذكره.

إلا إن المتابع للسياسة العراقية والمجتمع العراقي لا يجد باباً واسعاً لهكذا إحتمالات في المستقبل القريب، إذ عند دراسة وفهم معطيات الواقع يجد أن فرص بناء نوع من العلاقة مع إسرائيل غير واردة لا على المستوى الشعبي ولا على المستوى الحكومي. ما خلا منطقة كردستان إلا إن العراق ورغم ما يعانيه من مشاكل في مختلف المستويات مازال يشكل أهمية قصوى لدى إسرائيل لها إبعاد دينية وإستراتيجية.

المحور الثالث: المقاربات الإستراتيجية بين داعش وإسرائيل

هذه المرة الثانية وفي أقل من مئة سنة يستطيع تنظيم مسلح السيطرة على مساحة جغرافية تمكنه من حرية العمل والحركة، إذ بعد العصابات الصهيونية وسيطرتها على القرى والمدن الفلسطينية، يعود تنظيم ما يعرف بداعش في السيطرة على جزء من الأراضي العراقية والسورية معلناً بذلك بداية تقسيم جديد كما هو الحال وتقسيم سايكس- بيكو وأنشأ حدوداً قابلة للتمدد تماماً

مثلما فعلت الدول التي توسعت وأقامت الإمبراطوريات في حقب عديدة من التاريخ.

وهي المرة الثانية أيضا تستطيع تنظيمات مسلحة أن تحقّق نوعاً من السيادة على الأرض فقد تميزت الجماعات الصهيونية وتنظيم داعش من تحقيق قدر واضح ومهم من الإكتفاء الذاتي عبر السيطرة على مناطق ذات أهمية إستراتيجية.

عند تحليل طبيعة تنظيم داعش نجد ثمة تقارباً بين قيام إسرائيل وتنظيم داعش وهذا التقارب إتَّضح من خلال المنطلقات الأساسية لكلا الطرفين، الإيديولوجية والعقائدية، الإستراتيجيات (الأهداف والوسائل). وبتفحص التاريخ والظروف التي دفعت بإقامة (إسرائيل) من بريطانيا والذي سبقه تمزيق وتشرذم المنطقة العربية بما يعرف بإتفاقية سايكس بيكو وإحتلال بريطاني لأجزاء واسعة منها، يدفعنا للتساؤل هل ظهور تنظيم داعش هو ضرورة إستراتيجية أمريكية ـ إسرائيلية؟، كما كان ظهور إسرائيل ضرورة إستراتيجية بريطانية آنذاك. وللإجابة عن هذا التساؤل كان لا بدّ من تحليل ظروف نشأة وتطور إسرائيل وإيجاد المشتركات والتوافقات بينها وبين نشأة وتطور ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) من جهة، وبين توظيف المتغيرات الإستراتيجية في البيئتين الإقليمية والدولية من جهة أخرى. وعليه سيتم تقسيم هذا المحور إلى:

أولا: التوافقات الإستراتيجية

عند النظر إلى نشأة وتكوين تنظيم داعش نجد ثمة تقارباً إن لم يكن تماثلاً في النشأة بين ما يعرف اليوم بإسرائيل التي ما هي إلّا مجموعة من العصابات الإجرامية قامت على أساس القتل والتدمير والتهجير للعرب الفلسطينيين من المسلمين والمسيحيين بتبني عقيدة دينية ـ عنصرية تعتمد على مبادئ الصهيونية في صيرورة دولتهم المزعومة في فلسطين، كذا الحال نجد أن ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)[*] إعتمد في نشأته وتطوره على الفكر الجهادي السلفي القائم على مجموعة مرتكزات فكرية أهمها[19]:

1. إعادة الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة.

2. قيام دولة الإسلام التي تستمد قوتها من فكرة الجهاد الإسلامي العالمي.

(*) إن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام المعروف اختصارا بـ (داعش)، هو تنظيم إرهابي مسلح يتبنى الفكر السلفي الجهادي المتطرف، وانبثق هذا التنظيم من تنظيم القاعدة الإرهابي في عام 2013، وتمكن من السيطرة على أجزاء واسعة من العراق وسوريا ومارس الوحشية المفرطة في تحقيق أهدافه. للمزيد انظر: رفعت السيد احمد، داعش: خلافة الدم والنار، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2015، ص 15.

(19) للمزيد انظر: Ben Smith, ISIS and the Sectarian Conflict in the Middle East, Research paper House of Commons Library, U.K, No, 15, March, 2015, P.7. وأيضا: سيد قطب، معالم في الطريق، على الرابط الالكتروني الآتي: www.Twhed.com.

3. واقع الدولة غير ثابت الحدود ومتعدد الشعوب والقبائل.

4. الدين كله لله، فمن منع من هذا قوتل بإتفاق المسلمين.

5. ممارسة القوة والقتل لكل من يعارض قيام هذه الدولة حتى وإن كان من المسلمين تحت ما يعرف بنظرية (إدارة التوحش للأمة).

6. تعتمد هذه المرتكزات الفكرية على إستراتيجية تتضمن عاملين[20]:

أ . دعم الحواضن.

ب . الحرب اللامتماثلة.

(20) Carmen Cristina Civilly, The International coalition to Counter ISIS / Death (The Islamic State), Briefing European Parliament, 17 March, 2015, p.3.

وعليه فإن تنظيم ما يعرف بالدولة الإسلامية قام بالأساس على أسلوب الترويع وإتَّخذ من العنف والتوحش نهجاً في بناء دولته المزعومة، وهذا يعدّ أحد أوجه التوافق في النشأة بينه وبين إسرائيل التي بنيت على أساس فكرة عالمية نابعة من الصهيونية العالمية التي ترجع أصولها إلى كتبهم المقدسة (التلمود) والعهد القديم والألواح والوصايا العشر والإسفار. وهذه الأصول تعزز التقارب بينهم حيث التنظيم يعتمد بالدرجة الأساس في بناء نظريته على أفكار دينية ـ عقائدية تستمد أصولها الفكرية من فقه إبن تيمية وسيد قطب وغيرهما الذين يحملون أفكاراً تكفيرية. هذه الأصول الدينية ـ التكفيرية تدفعنا إلى إيجاد تقاربات أخرى بين كلا التنظيمين يعتمدان على التميز وعدّ أنهم جنس متفوق على الجميع فاليهود شعب الله المختار والمسلمون خير أمة أخرجت للناس، وهذا يدعم فكرة التكفير عند تنظيم داعش وفكرة العنصرية عند إسرائيل. وهذه الفكرة دفعت بإتجاه تكوين النظرة الإستعلائية في الفكر الفلسفي لداعش والتي تتوافق إلى حد كبير مع فكرة شعب الله المختار في الفكر الصهيوني بعدّ أن اليهود هم (شعب الله المختار) وإسرائيل نظرت إلى مؤيديها بأنهم (صفوة المجتمع).

ومن المفارقات التاريخية في النشأة بين داعش وإسرائيل أنَّ كلتيهما قامتا على فكرة مفادها (المظلومية[21])، إسرائيل عملت على توظيف فكرة معاداة السامية ومحرقة الهولوكوست وما تعرض له اليهود من إضطهاد في العالم، وداعش إعتمدت على فكرة معاداة الولايات المتحدة الأمريكية للإسلام وعدم نصرة القضايا العربية الإسلامية لا سيّما في فلسطين. وإتّهام الإسلام بالإرهاب وفق نظري صِدام الحضارات وعدّه عدو الحضارة الإنسانية وما

(21) رياض حسن محرم، بين داعش والصهيونية.. مقاربات إيديولوجية وممارسات وحشية، على الرابط الالكتروني الآتي: http://www.civicegypt.org/?p=58294.

ترافق ذلك من إحتلال للعراق وما تبعه من عمليات تهميش ومظلومية للسنة في العراق بعد عام 2003 (وفق منظور تنظيم داعش).

أما على صعيد التوافق في الأهداف، فنجد أن إستراتيجية إسرائيل قامت على بناء (دولة إسرائيل الكبرى) وما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على بناء الدولة الإسلامية، هو قائم بالأساس على نكران وجود الوطن العربي أو الدول العربية، إذ إن إسرائيل بنيت على أسس ديني ـ عقائدي إعتمد على الغيبيات الدينية والوعود الدينية في إقامة دولة يهودا، كذا الحال مع تنظيم داعش وتبنيه أفكار الخلافة الإسلامية والدولة الإسلامية وإقامة دولة العدل الإلهي (وهي أفكار ساقها التنظيم على نحو مشوه ومنحرف عن الحقيقة). كذلك التقارب في الإدراك بين إسرائيل وتنظيم داعش بأن الدول العربية ما هي إلا تكوين مصطنع خلقته الإمبريالية العالمية، والأمة العربية ما هي إلا لغو لا وجود له، لا شيء إسمه العالم العربي أو الوطن العربي، إذ يرى تنظيم داعش أن هذه الحدود ما هي إلا وسيلة أوجدتها القوى الأوربية آنذاك لتقسيم المنطقة العربية إلى دول ودويلات[22]. وأحد مسالك السيطرة على هذه المنطقة هو إذكاء النعرات الطائفية والتوترات الدينية وبصفة خاصة بين السنة والشيعة، لذا تتقارب إسرائيل وداعش بان الدول العربية ما هي إلا خطأ إستراتيجي في الإدراك الأوربي آنذاك بموجب إتفاقية سايكس بيكو.

(22) عبد الإله بلقزيز، نكبة العراق، الاحتلال، المذهبية، (داعش)، مجلة المستقبل العربي، العدد 427، أيلول 2014، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص 156 157.

هذا التقارب في النشأة والتمكين والتوسع دفع بعدة تساؤلات ولاسيما بعد سيطرة داعش على أجزاء واسعة من مناطق حيوية في سوريا والعراق وعند تفحص تلك المناطق نجد قواسم جيوبولتيكية مشتركة تقترب من إستراتيجية إسرائيل وطموحها في تكوين (إسرائيل الكبرى). فعند النظر إلى خريطة (إسرائيل الكبرى) نجد أنها تبدأ من ذات المديات الجغرافية من الشام مروراً بمصر والأردن والعراق (من النيل إلى الفرات)، تقترب إلى حد ما الخريطة التي نشرها تنظيم (داعش) التي تبدأ من العراق وسوريا مروراً بالأردن وفلسطين وصولاً إلى مصر، بمعنى أن إقامة الدولة الكبرى لإسرائيل وإقامة دولة الخلافة الإسلامية، هي ضرورة وهدف إستراتيجي إذا إتَّخذت إسرائيل من فلسطين قاعدة لتحقيق هذا الهدف بينما ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) إتخذ من العراق إمتداداً بالمناطق المجاورة من سوريا قاعدة إنطلاق باتجاه تحقيق دولته المزعومة أيضا[23].

(23) رياض محرم، مصدر سبق ذكره.

وإن هذا التوافق في النشأة والتطور والأهداف، أوجد أيضاً توافقاً في آليات وأدوات تحقيق تلك الأهداف عبر الأتي:

1. الوحشية المفرطة، أحدثت إسرائيل مجازر مروعة تجاه عرب فلسطين متعمدة إحداث أكبر درجة من الفوضى والإرهاب لدفعهم إلى الفرار من بيوتهم وحقولهم للإستيلاء عليها، هذا ما حدث بالفعل من عصابات الهاجاناه والأرجون وشتيرن في دير ياسين والطنطورة وكفر قاسم وغيرها مستخدمين أقسى أساليب الوحشية والدموية لإدخال الرعب في قلوب الآخرين ودفعهم إلى الفرار خوفاً على حياتهم وحياة أسرهم، هذه العصابات المتوحشة إستخدمت الكتاب المقدس ستاراً شرعياً لتلك الأعمال منه «على سبيل المثال» ذلك النص الموجود في سفر التثنية في العهد القديم يقول: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها، إستدعِها للصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك، فإضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك، أعطاك الرب اليك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم»[24].
هذا الفعل يتماثل والفعل الذي قام به ما يعرف تنظيم الدولة الإسلامية عند إحتلاله لمدن العراقية في الموصل وصلاح الدين وديالى وكركوك مستنداً على دعاوى تكفيرية تدعو إلى الذبح والحرق والرمي من المناطق المرتفعة وتهجير وترويع سكان المدن والقرى الرافضة لوجودهم عبر عملية فرار جماعي قام بها سكان المناطق التي وقعت تحت الإحتلال[25].

(24) المصدر نفسه.

2. طمس الهوية الوطنية ومحو الإرث الحضاري، عملت إسرائيل على طمس الكثير من المعالم الحضارية الإسلامية في فلسطين ولاسيما في القدس، كذلك الحال نجده عند ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في تدمير الإرث الحضاري لمدينة الموصل وتهديم المعالم والمراقد الدينية[26]، إذا إن التوافق بُني على فكرة تدعو لتدمير الماضي من أجل بناء مستقبل قائم على توحيد الله، وتنظيم الدولة يتبع خطوات الطوائف المسيحية واليهودية المتطرفة التي تعتنق رؤية دينية مشابهة تكفر كل من ليس على دينها وتشيطنه[27]وهذا يعيد إلى الأذهان ما قامت به

(25) للمزيد انظر: عبد الله حمد الأزرق، تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» إدارة التوحش، ط1، الخرطوم، 2015، ص 186 وما بعدها.

(26) عدنان حسين عياش، النكبة وأثرها على الموروث الحضاري الفلسطيني، على الرابط الالكتروني الأتي:
http://www.iasj.net/ iasj?func = fulltext&aId = 90053

(27) http://www.aljazeera.net/ knowledgegate/ opinions/2015/3/ 13

إسرائيل إبان قيام دولتهم المزعومة من عمليات تطهير عرقي للعرب الفلسطينيين والمسيحيين يتوافق ما يقوم به تنظيم (داعش) من عمليات تطهير عرقي للعراقيين والسوريين المسلمين والمسيحيين على حد سواء وفق عقيدة فكرية قائمة على[28]:

(28) عبد الله الرازق، مصدر سبق ذكره، ص 55 وما بعدها.

أ . حق قتل المسلمين إذا تترس به الكافر، كأساس شرعي لتبرير بعض العمليات العسكرية التي يترتب عليها قتل المسلمين.

ب . قتال غير المسلمين وغزو العالم لنشر الدعوة.

3. التفتيت الإجتماعي وتقسيم المجتمع وفق رؤية دينية ـ مذهبية ـ قومية، وإثارة النعرات الطائفية والتمييز العرقي والمذهبي بين أبناء المجتمع الواحد، بغية زعزعة وحدة وتماسك المجتمع ليسهل عملية التغلغل الإجتماعي للتنظيم بين فئات المجتمع وفق فكرة المظلومية والتهميش[29].

(29) حارث حسن، الأزمة الطائفية في العراق، ارث من الإقصاء، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، نيسان، 2014، ص 13– 14.

4. الإعتماد على المقاتلين (المهاجرين) وهذا ما إعتمدت عليه إسرائيل إذا إعتمدت على تدفق المهاجرين اليهود من مختلف إنحاء العالم إلى فلسطين للمشاركة في بناء دولتهم المزعومة، كذا الحال أيضا تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) يعتمد على تدفق المهاجرين من أوربا وآسيا وأنحاء مختلفة من العالم ولاسيما المقاتلين المتمرسين والإعتماد عليهم في العمليات العسكرية العنيفة وسميت هذه المجاميع القتالية بفرقة الإنغماس[30].

(30) عبد الله الأزرق، مصدر سبق ذكره، ص 57.

5. الإعتماد على بث الإشاعات وترويع السكان عبر عمليات قليلة القول إنها وحشية، عبر التفنن في إستخدام الوحشية المطلقة ومشهد قطع الرؤوس ودحرجتها في الساحات العامة مقرونة بالأهازيج والإحتفالات وعرضها على شاشات التلفزيون ومواقع التواصل الإجتماعي، أدّت إلى تكوين رؤية مجتمعية لوحشية هذا التنظيم ورد فعل مجتمعي بالخوف والإحباط من القدرة على مواجهة هذا التنظيم. هذه العمليات الوحشية تعيد إلى الذاكرة المجازر التي قامت بها العصابات الصهيونية إبان تأسيس دولتهم التي تمثلت بمجازر كفر قاسم ودير ياسين[31].

(31) للمزيد انظر:
Ben Smith, Ibid, p.8.
وأيضا: نبيل ياسين، داعش: إيديولوجيا إدارة التوحش – الرعب للسيطرة على العالم، على الرابط الالكتروني الآتي: http://www.e-kutub.com/index.php/2013-01-17

6. العمل على ان تكون المبادأة في الهجوم التي تعتمد على إختيار الوقت والمكان من نصيب تنظيم داعش من أجل إحداث المفاجأة وإمتلاك مفاتيح المبادرة والضرب في أكثر المناطق غير المتوقعة معتمدة على

أسلوب التمويه كما حدث في عملية إحتلال مدينة الموصل التي سبقتها عملية تمويه بإتجاه مدينة سامراء. وهذا الأسلوب يتوافق والإستراتيجية الإسرائيلية منذ النشأة إلى يومنا هذا، الذي يعتمد بالدرجة على أسلوب الحرب الخاطفة والسريعة[32].

(32) رامي مهداوي، الصهيونية وداعش.. مقاربات أولية، وكالة وطن للإنباء، 16/ 8 / 2014.

وما بين النظرية والتطبيق، نجد ثمة مقاربات وتوافقات إيديولوجية ـ إستراتيجية بين تنظيم داعش وإسرائيل، إذا يمثل الأول إسرائيل قبل إعلان دولتهم، والثانية تمثل داعش في عصر اليوم، عصر العولمة الشاملة.

ثانياً: التوظيف الإستراتيجي

التساؤلات التي تثار هنا هل هنالك علاقة بين (إسرائيل) وداعش؟ وإن كان ثمة علاقة ما أوجه وأنماط وسلوكيات هذه العلاقة؟، وكيف وظفت إسرائيل هذه العلاقات؟، وما تأثير داعش في الإستراتيجية الإسرائيلية؟، وما دور إسرائيل في تنامي وتطور تنظيم داعش؟.

للإجابة عن هذه الأسئلة يتطلب تحليل البيئة الإستراتيجية العالمية وما آلت إليه طبيعة العلاقات الدولية وما نتج عنها من نظام عالمي تَحَوَّلَ فيه من نظام توازن القوى إلى نظام توازن المصالح، ومِن تحولٍ في ظاهرة الصراع الدولي من صراع إيديولوجي بعد تفكك الإتحاد السوفيتي إلى صراع حضاري ـ عقائدي وفق نظرية صمويل هنتغتون (صِدام الحضارات)، التي رسم من خلالها صورة مستقبلية لإشكال الصراعات القادمة بين الأمم إذ قدمت هذه النظرية الكثير من التفسيرات للأحداث التي أعقبت أحداث 11 أيلول 2001. إذ فسرت أحداث 11 أيلول وما تلاها على أنها شكل من إشكال الصراع الحضاري ـ العقائدي الذي أكّده هنتغتون في نظريته.

ثمة مقاربات وتوافقات إيديولوجية ـ إستراتيجية بين تنظيم داعش وإسرائيل، إذا يمثل الأول إسرائيل قبل إعلان دولتهم، والثانية تمثل داعش في عصر اليوم.

ووفقاً لإستراتيجية إستثمار الفرصة لم تغفل إسرائيل هذه الفرصة بل عملت على توظيف نظرية صمويل هنتفتون ومنذ أحداث 11 أيلول 2001. وجاء هذا التوظيف من خلال توصيف الدول العربية والإسلامية بأنها دول وحركات وتنظيمات معادية للجماعات والدول غير الإسلامية[33]، إذ يقول نتينياهو «إن الحركتين الإسلامية والقومية العربية ترفضان الإعتراف بحقوق

(33) Wm.Rogerlouis and Avi Shalom,The 1967 Arab _Israeli war: Origins and Consequences, Cambridge University Press, New York, 2012, pp.10-11.

الجماعات الأخرى من غير العرب أو غير المسلمين وتجمعان. . على ضرورة أن تكون المنطقة العربية كلها إسلامية، دون تحديد» ويعلل ذلك بقوله (لقد اقتطعت هذه النظرية من التفسير (المتشدد) للقرآن الذي يقسم العالم إلى منطقتين: دار الإسلام، ودار الحرب. . كما إن القرآن لايترك مجالاً للشك، بالنسبة لاستعلاء المسلمين على الكافرين في المنطقة الخاضعة لسلطة الإسلام، في حين يكلفهم بإدارة حرب مستمرة ضد الكافرين في الديار الأخرى)[34]. هذا الرأي جاء مؤيدا لما جاءت به نظرية صمويل هنتغتون والتوظيف الأميركي لهذه النظرية في الإستراتيجية الأمريكية باعتبار الإسلام والمسلمين مهددين للوجود الحضاري الغربي. ووظفت (إسرائيل) هذه الرؤية وبما يخدمها في صراعها مع الدول العربية والفلسطينيين، إذ عملت على استقطاب الدول التي كانت رافضة للوجود الإسرائيلي أو على الأقل تحييد هذه الدول، من جانب، ومن جانب أخر إضعاف الدول العربية وتدمير قدراتها العسكرية ولا سيما ما حدث في العراق عام 2003، فضلاً عن محاولات (تجريم) المقاومة اللبنانية والفلسطينية وإدراجها ضمن مايعرف بالإرهاب الإسلامي.

(34) للمزيد ينظر: صبري جرجيس، اليمين الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، 1987، ص 23 وما بعدها.

وفي هذا السياق صرح وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه يعلون بأن «تنظيم داعش يعمل بعيداً ولا يشكل خطراً على مصالحنا»[35]، هذا التصريح اثأر تساؤلاً عن دوافعه غاياته في الوقت الذي تنشغل الإستراتيجيات العالمية في مواجهة خطر داعش بعدّه الخطر الأول المهدد للأمن والسلم الدوليين، لا سيّما وان الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الإستراتيجي لإسرائيل تعدّه المهدد الأول في العالم للإستراتيجية الأمريكية والإستراتيجية الإسرائيلية والعالم على حد سواء، ومن خلال تحليل التقارب والتماثل بين إسرائيل وتنظيم داعش نجد أن داعش وفرت فرصة لايمكن تعويضها لتحقيق الأهداف الإسرائيلية وهي[36]:

(35) المصدر نفسه.

(36) مأمون كيوان، مصدر سبق ذكره

الهدف الأول: السعي إلى الظهور على أنها (إسرائيل) جزء من التحالف الدولي الإقليمي الذي يجري العمل على إقامته لمحاربة داعش بهدف تلميع صورتها ونفي صفة الإرهاب عنها، خاصة بعد الجرائم التي إرتكبتها أخيراً في قطاع غزة ومزارع شبعا.

الهدف الثاني: محاولة وصم حركات المقاومة بالإرهاب عبر تشبيهها

بداعش، لتبرير حربها ضد الشعب الفلسطيني والمقاومة الإسلامية، وكسب التأييد الدولي إلى جانبها.

الهدف الثالث: استخدام خطر داعش في الدول العربية المجاورة لفلسطين لا سيما الأردن، لتبرير الشروع في إقامة جدار عازل على طول نهر الأردن، وبالتالي تكريس الاحتلال الصهيوني الاستيطاني في منطقة غور الأردن في إطار أي تسوية نهائية للقضية الفلسطينية.

الهدف الرابع: الاستفادة من خطر داعش لأجل زيادة التحريض على الفتنة والصراعات المذهبية والطائفية والعرقية في المنطقة، وإشغال الدول العربية ولاسيما في لبنان وسوريا والعراق عن إسرائيل مما يتيح لها هامش من حرية العمل في الاقتراب من تحقيق هدف إسرائيل الكبرى.

الهدف الخامس: العمل على إيجاد المبررات الداخلية لتبرير زيادة الموازنة الإسرائيلية الأمنية، وإبعاد أنظار الإسرائيليين عن الأزمة الاقتصادية الاجتماعية التي تفاقمت على خلفية التكاليف الباهظة للعدوان على قطاع غزة.

الأهداف الإسرائيلية لا تتناقض مع الأهداف الأميركية الساعية بدورها إلى توظيف خطر داعش لأجل استمرار هيمنة الولايات المتحدة الأميركية.

الهدف السادس: تهيئة البيئة الداخلية الإسرائيلية والدولية لحرب قادمة مؤجلة وعدوان لاحت بوادره في الأفق بينها وبين المقاومة الفلسطينية والمقاومة اللبنانية.

هذه الأهداف الإسرائيلية لا تتناقض مع الأهداف الأميركية الساعية بدورها إلى توظيف خطر داعش لأجل استمرار هيمنة الولايات المتحدة الأميركية، وما تشكيل التحالف الدولي إلا صورة من صور الهيمنة الأميركية الأميركية في حربها على أفغانستان والعراق عامي 2002 و2003، وبالتالي تأكيد زعامتها الدولية وعدم الإقرار بوجود تعددية دولية وإقليمية.

وإذا ما أخذنا بالاعتبار العلاقة التحالفية الإستراتيجية التي تربط إسرائيل بالولايات المتحدة الأميركية، وأهدافهما المشتركة في المنطقة فإنه بالإمكان القول إن خطر داعش الإرهابي وتكبيره يصب في خدمة أهدافهما لإبقاء المنطقة خاضعة للهيمنة الأميركية من ناحية وتصفية القضية الفلسطينية من ناحية ثانية لمصلحة المشروع الصهيوني وسحب العراق وسوريا للانضمام إلى مشاريع التسوية وتطبيع العلاقات مع إسرائيل ضمن مايعرف بمشروع

الشرق الأوسط الكبير، إذ تعد الحرب على الإرهاب اليوم احد الأدوات الممهدة باتجاه استكمال متطلبات هذا المشروع بتوظيف الحركات الإسلامية المتطرفة المتمثلة بجبهة النصرة وتنظيم داعش وأنصار الشام وتسبقهم بذلك تنظيم القاعدة الأمّ الذي تفرعت منه هذه التنظيمات الإرهابية[37]. وبتوظيف هذه الحركات في إثارة النعرات الطائفية والمذهبية بإتجاه تحول الصراع من صراع عربي ـ إسرائيلي إلى صراع فلسطيني ـ إسرائيلي، ثم صراع فلسطيني ـ فلسطيني ـ وصراع عربي (قومي) ـ إسلامي، وصراع ديني سني ـ شيعي. أصبحت أمام إسرائيل فرصة في إستثمار هذه الصراعات وتحييد الدول العربية عن مقاومة إسرائيل تمثلت بتحييد سوريا والعراق وحزب الله وإنشغالهم في المواجهات الداخلية بعيداً عن مقاومة إسرائيل، مما أتاح لإسرائيل هامشاً من حرية العمل والتحرك بإتجاهين يتمثل الأول: بإتجاه تدعيم الدولة الإسرائيلية والمضي في التطورات السياسية والإقتصادية والأمنية وتحييد المعارضة في الداخل الإسرائيلي وسيطرة المتشددين على الحكم على حساب حركة الإصلاح بدواعي مواجهة خطر تنظيم داعش. أمَّا الثاني: يتمثل في زيادة زخم التأييد العالمي لإسرائيل وكسبب الرأي العام العالمي وتأكيد أن الدين الإسلامي هو دين (إرهابي) يستهدف التطور الحضاري والإنساني ومُهدّد للوجود الحضاري في العالم.

(37) للمزيد ينظر: حسين عطوي، خطر داعش والتوظيف الاستراتيجي، الوطن القطرية، أيلول، 2014. وكذلك: Michele Flournoy and Richard Fontain, An Intensified Approach To Combating The Islamic State, Policy Brief,Center for New American Security, U.S., August, 2015, PP.2-4

وعند النظر إلى التمدد الجيوبولوتيكي لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) قد إستحوذ على أكثر المناطق حيوية بالنسبة للجوار الجغرافي من جهة، وتمركز مصادر الطاقة والمياه من جهة أخرى. هذا التمدد بالقرب من تركيا والأردن وسوريا وإيران، أعطى لهذا التنظيم زخم السيطرة على الاحداث وإدارة المعارك، مما جعل الحكومة العراقية وبعض دول الجوار إلى الإستعانة بالولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة تمدد هذا الخطر، وفي ضوء ذلك شكلت الولايات المتحدة الأمريكية التحالف الدولي ضد تنظيم داعش، الذي ضمَّ دولاً أوربية وعربية، هذا التحالف الدولي يصبُّ في مصلحة إسرائيل وضمن ما يعرف أيضا بمشروع الشرق الأوسط بإعادة تعريف أدواته وأهدافه وفق مفهوم (عولمة الأمن) مما قد يؤدي إلى إعادة التقارب الإسرائيلي ـ التركي من جهة، وبناء علاقات وترتيبات أمنية مع دول المنطقة.

نجد مما تقدم أن عملية إحتلال داعش لأجزاء واسعة من العراق وسوريا قد

مكنت إسرائيل ولو بشكل غير مباشر بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة تعريف المنطقة وهيكلة العديد من مشاريع التسوية وفي مقدمتها مشروع الشرق الأوسط الكبير وفق نظام توازن المصالح المبني على أساس الوفاق في العلاقات الإقليمية ـ الدولية لمواجهة الخطر الذي يهدد الأمن والسلم الدوليين. فكان بمثابة الفرصة التاريخية لتعظيم إستراتيجية إسرائيل بإتجاه تحقيق الأهداف على حساب الدول العربية مرة أخرى.

أن الإستراتيجية الإسرائيلية عملت على توظيف مختلف الفرص في إثبات وتركيز وجودها في المنطقة العربية من جهة، وكسب التأييد العالمي لهذا الوجود.

الخاتمة

نخلص مما تقدم أن الإستراتيجية الإسرائيلية عملت على توظيف مختلف الفرص في إثبات وتركيز وجودها في المنطقة العربية من جهة، وكسب التأييد العالمي لهذا الوجود، مقابل إضعاف الدول العربية والعمل على تفتيتها بمشاريع مختلفة لأن وجود دولة عربية تمتلك مكانة وأهمية إستراتيجية إقليمية يؤدي إلى تهديد فعلي لإسرائيل. وما وصل إليه العراق بعد 2003 وما يعانيه اليوم من مشاكل سياسية وأمنية وإقتصادية عزز الإستراتيجية الإسرائيلية بضرورة العمل على عزل الدول العربية بعضها عن البعض الآخر، وتفتيت هذه الدول عبر إتباع إستراتيجية مبنية على أسس طائفية وعرقية من شأنها أن تمزق الدول العربية بشكل غير مباشر كما حدث في السودان، وما يحدث اليوم من صراعات في ليبيا وسوريا والعراق ما هو إلّا الفرصة المثلى بالنسبة لإسرائيل للقضاء على المقاومة العربية، لا سيّما إن هذه الدول تشكل الدول الرافضة للوجود الإسرائيلي.